

النكتة في الحكاية الشعبية الأردنية

د. أحمد شريف الزعبي *



أمثلة ذلك قولهم: إن ضافه ضيف بصير يتبهل (بيتسم) من حاله، وهذا دلالة فرحته بالضيف.

٣. يكرهون الإنسان العابس، ومن أمثلة ذلك: فلان مابضحك للرعيف السُّخن، كما أنهم يأمرّون العابس بقولهم: افرد (ابتسم) وجهك. ولا يجوز للشخص أن يضحك في المجلس دون سبب، فيعدّ ذلك من باب قلة الأدب. ومن الأسباب التي تجيز الضحك: أن يقول أحدهم نكتة تثير الضحك، أو أن يتصرّف أحدهم تصرّفًا يثير الضحك.

وهناك بعض الأسباب جعلت الأردني قليل الضحك، منها على سبيل المثال:

١. طبيعة الأرض الأردنية، فهناك الصحراء الشاسعة، والتي تشكّل معظم مساحة المملكة، وهي قليلة الأمطار، لذا فإنّها انعكست على مزاج الحياة التي يعيشها الإنسان الأردني.

يُقال إنّ الأردنيين لا يضحكون، أو لا يحبون الضحك، بالرغم من أنّ هناك بعض الأقوال تشجّع على الضحك، ولكن في أوقات محدّدة، فلا يجوز التكشير في وجه الضيف، حتى لا يقال عنه (المعزب) أنه بخيل. كما لا يجوز التكشير في وجه القادم، حتى لا يظنّ أنّه غير مرحّب به. فالأردنيّون يحبّون الإنسان البشوش، ويكرهون العابس، ومن بعض الأدلة على ذلك:

١. يرغبون بالفتاة أن تكون بشوشة، فبعض النسوة كنّ إذا أردن خطبة فتاة لأحد أبنائهن فإنّهن يراقبن وقت نهوضها من النوم، فإن كانت باشّة الوجه، يقمن بالموافقة على خطبتها، وإن كان عكس ذلك يمتنعن عن مواصلة مراسيمها.

٢. يمتدحون الشخص البشوش، ويكرهون العابس، ومن

* باحث في التراث الشعبي الأردني.



وحدث أن جاءهم متسول، القى عليهما السلام، فلم يردّا، طلب منهما صدقة، فلم يلتفتا إلى طلبه، فظنّ أنّهما معتوهان، وسمع خوار البقرة، فقال في نفسه: إنّه أحقّ بالبقرة منهما، فحلّ رباط البقرة وأخذها، وغادر البيت مسرعاً، فما كان من الزوجة إلا أن قالت لزوجها: الحق، فضحك الزوج، وقال بلهجة المنتصر: أنت من تكلمتي أولاً، وعليك إيصال البقرة إلى المرعى، فثارت ثائرة المرأة، وأخذت تصيح، فجاء الجيران، وأخبرتهم خبر البقرة وزوجها والمتسول، فالحقوا المتسول وأرجعوا البقرة، وصار الزوجان موضع سخرية أهل القرية؛ لأنّ قريتهم تعجّ بالحركة، ولا مجال للكسل بينهم، فالكسل مرفوض، لأنّه ضدّ قيمة العمل، تلك القيمة العالية، والمقدّرة عندهم.

وهناك حكاية شيخ الكتاب القاسي مع طلابه، الذي كان يضربهم لأدنى سبب. فما كان من أحد تلاميذه إلا أن قال لزملائه: هل تريدون أن ترتاحوا من عصي الشيخ، ولو عدة أيّام؟ قالوا: نعم. قال: سأدخل عليه أولاً، وسأقول له: الحمد لله على سلامتك يا شيخنا، لونك أصفر، فأنت مريض. وبعد ذلك تدخلون بعدي واحداً واحداً، وتعيدون ماقلته له، فوافقوا جميعاً.

دخل ذلك الطالب، وقال مقولته للشيخ، وكذلك فعل الصغار، وقبل أن يكتمل عددهم، قام الشيخ متثاقلاً، ودخل بيته، وبعد قليل جاءت زوجته وصرفتهم. فرح الصغار كثيراً، وارتاحوا عدّة أيّام من عصاته الغليظة. تسرّب الخبر للمختار، ولكبار

أما المناطق السهلية، فإنّها تعتمد على مياه الأمطار، لذا فإنّ الإنسان يكون قريباً من الله في الدعاء والابتهاال.
٢. القواعد الاجتماعيّة الصارمة، فالقاعدة الاجتماعيّة تقول: الضحك من غير سبب قلة أدب. فعلى من يحرص أن يكون مؤدّباً، عليه أن لا يضحك الا لسبب وجيه، وإلا فإنّه يكون موضع انتقاد وتأنيب الآخرين.

٣. الجديّة عند الأردني هي الصفة الغالبة على طبعه.
٤. الخوف من المستقبل المجهول، فعندما يضحك الأردني يقول في أعقاب الضحك (يارب تكفيننا شرّ هالضحك).

والنكتة هي الخروج عن المألوف، وعن المتعارف عليه عند الناس، وبعض النكات مازالت مستقرة في وجدان الشعب، ويردّها بين الحين والآخر إذا تماثلت الظروف. وكما أسلفنا فإنّ الأردني معروف بجديّته وحبّه للعمل، ويكره الكسل، فإذا لم يقدّم أحدهم بعمله، فإنه يعدّ كسولاً، فيثير سخرية الآخرين منه، ومن أمثلة ذلك، قصة الزوجن اللذين كانت لهم بقرة، وكان الزوج هو من يوصلها للراعي، الذي بدوره يجمع بقر القرية ويأخذها للمرعى، ومع مرور الأيام ملّ الزوج هذا العمل، فقال لزوجته: من يتكلم منّا غدا فعليه إيصال البقرة للراعي. وافقت الزوجة، وجاء الصباح وكلّ واحد يتوقّع أن يكون الآخر من يبدأ بالكلام، ولكن لم يتكلم أحدٌ منهما، وصار وقت الضحى، والبقرة مازالت مربوطة، وتتقوم بالخوار بين الحين والآخر،

روح أمك، أي هو الله ما خلق غيرها) وأطلق ساقيه للريح. صُدم الشيخ، ولحقه يريد الفتك به، ولكنَّ القوم منعوه، واجلسوه، وطَيَّبوا خاطره، وأخذ الناس يبتهمسون ويبتسمون، فما كان منه إلا أن ابتسم أخيراً، ففرح الناس، وناداه بعد أن أعطاه الأمان وكافأه، لأنَّه أخرجهم وأخرج الناس، بنكتة من دائرة الحزن.

وللنساء دورٌ في النكتة، وفي اكتشاف مدَّعي البطولة من الرِّجال. إذ كان أحد الشُّباب، يلحق الفتيات على عين الماء، ويدَّعي أمامهنَّ، أنَّه اللَّيثُ الهُمَامُ، وأنَّه يصرع أقوى الرِّجال، فالكلُّ يهابه ويحسب له ألف حساب. والفتيات مبهورات به، وببطولاته، إلى أن قامت إحداهنَّ وبالاتفاق مع الفتيات الأخريات بلبس ملابس الرِّجال، وعندما جاء إلى عين الماء، هجمت عليه وهي تزمجر، فأطلق ساقيه للريح، وهو يستنجد بالفتيات أن ينقذنه، وهنَّ يتضحكن عليه بأصوات عالية، وأسقط في يده، وعندما عرف أنَّ ذلك الشَّابُّ ماهو الآ فتاة، عاد إلى بيته مطأطئ الرأس، وبقي عدَّة أيام لا يخرج إلى النَّاس، ولم يعد يتبع الفتيات إلى العين.

أمَّا الزوجة التي كان يعمل زوجها المضارب (المضروب عصاً غليظة، يحملها الرِّجل ويستعملها كسلاح فردي)، ويقسمها فهذا مضروب الخمسة (إذا لاقاه خمسة رجال فإنه يصرعهم بضربة واحدة)، وهذا مضروب العشرة، وذاك مضروب العشرين، وحدث أن ذهب في أحد الأيام ليطحن في إحدى المطاحن البعيدة، وزوجته تعرف الطريق جيداً، فلبست بعض ملابسها، واختبأت (في طريق عودته) خلف إحدى الصخور، وعندما عاد من المطحنة، لاقته مهددة متوعدة، وعندما استفسر عن الأمر قالت له: أريد الحمار بما يحمل من طحين، فأخذ الرِّجل يتوسل بأن يعفو عنه فهذا الطحين لأولاده، ستغضب منه زوجته، ولكنَّ الزوجة انتهرته ولوَّحت له

القرية، الذين ذهبوا للشيخ، فضحكوا كثيراً، لما فعله الصغار بشيخهم. ومنذ ذلك اليوم لم يعد يضربهم، بل نالوا محبته واهتمامه.

وهناك تحدِّي القوة والسلطان، من قبل أحد الأشخاص، من ذوي النكتة والدم الخفيف؛ إذ توفيت أمُّ أحد الشيوخ، فحزن عليها حزناً شديداً، فهي، فضلاً عن كونها أمُّه، ذات رأيٍ وذكاء، ويحترمها الناس جميعاً. استمر حزن الشيخ لأكثر من أسبوع، على الرغم أنَّ حزنهم لا يتعدَّى ثلاثة أيام على من يتوفى. ذهبوا إلى ذلك الشخص خفيف الظل وطلبوا منه أن يخرج الشيخ من دائرة الحزن، ولكنه اشترط عليهم أن يحموه من بطش الشيخ، فوعده بذلك وذهب للشيخ وجلس بمجلسه، فأخذ الشيخ يذكر صفات أمِّه، فأخذ يلاطفه علَّه ينسيه حزنه، إلا أنَّه لم ينجح، فما كان منه إلا أن استجمع قواه، وقال: (بدي العن



لأني أقول الصَّحِيحُ. استغربت ذلك وقالت: وهل الذي يقول الصحيح يطرحه النَّاسُ؟ قال: بلى. قالت لا أصدِّق ذلك. قال لها: إنَّ أبي مات منذ سنتين، فكيف صرتي حاملاً؟ فما كان منها إلا أن ضربته بحجر فشجَّت رأسه. فقال لها أما رأيتي؟ فهذا رأسي قد شجَّ لأني تكلمت الصَّحِيح.

واشتهرت بعض القرى بخفة الدَّم والفكاهة، ولا أحد يغضب منهم، ومن بعض تلك القرى قرية المزار الشمالي، ومن نكاتهم، أن أحدهم كان يجلس في أحد الباصات، وكانت خلفه إحدى الحسناوات، فأخذ الهواء يعبث بشعرها، فرجته أن يغلق النافذة: أغلق الشباك يا حجي. فقال لها: أنا لم أحج، وإنما اعتمرت، فقولي: يا عمري، وذهبت نكتة بين النَّاس.

وفي المقابل فقد التصقت النكتة على بعض أهل المناطق، كما هو الحال في الأقطار العربيَّة، فهناك مناطق تتصف بالبداهة، ومناطق تتصف بالشطارة (الاقتصاد) ومناطق تتصف بالبط بالعمل، وهكذا.

ومع انتشار وسائل الاتصال الحديثة كالصحف والشبكة العنكبوتية، أصبحت النكات الشعبية أكثر تداولاً، وأسرع انتشاراً، وكل قرار يمس حياة المواطنين كرفع الأسعار، أو التصرفات المجتمعية، أو انتقاد المسؤولين، صارت له نكاته الخاصَّة، التي تنتقل بين المواطنين.

بالعصا، فرمى المضروب أرضاً، فضربته على مؤخرته، فأطلق ساقيه للريِّح وولَّى هارباً في أحد الشُّعاب.

عادت الزوجة إلى البيت، ولبست ملابسها، وصارت تعمل بأعمال البيت، وبعد حوالي السَّاعة، جاء الزوج وهو يرغي ويزبد على زوجته ويتوعدها، وحجَّته أنَّها لم تعطه مضروب العشرين، ولمَّا استفسرت قال لها: لقد لاقاه عشرون رجلاً فلم يستطع التغلَّب عليهم، لأنَّ المضروب الذي معه مضروب الخمسة، ابتسمت الزوجة، وسمع الزوج نهيق الحمار، ونظر فوجد كيس الطَّحين مرسوئاً في مكانه، فقال: أترين يازوجتي: إن اللُّصوص قد خافوا من بطشي وأرجعوا الحمار مع كيس الطَّحين.. أخذت الزوجة تكيل المديح لزوجها، وهو يفتل شاربيه بكبرياء، وبعد الغداء، روت له ما حدث معه ومع اللُّصوص وأنَّها هي التي أخافته، وأنَّها قد تنكرت بلباس رجل، لتكشف زيف رجولته التي يدَّعيها، أسقط في يده فقال ضاحكاً: بالله عليكمي ألا أجد العدو السَّريع؟ ضحكا معاً ولم يعد يدَّعي بطولات زائفة، بل صار مثلاً لمن يدَّعي بطولاتٍ ليس بأهلها.

ولجحا في الأدب الشعبي، حكايات كثيرة، وارتبط اسمه بالنكتة والجواب الذكي السَّريع، ومن أمثلة ذلك، أن ذهب إلى زوجة أبيه، فرأها حاملاً، وقالت له: لمِ رأسك مليء بالطرحات؟ فقال:

